الأزمات الدولية وانعكاساتها النفسية على المجتمع العراقي

د. نور علي الكناني
الجامعة العراقية
كلية التربية للبنات / علم نفس إعلامي

المستخلص

كانت نهاية الحرب الباردة مرحلة جديدة في تاريخ العلاقات الدولية، اتسمت بإعادة بناء العديد من المفاهيم التي كانت متواجدة منذ قدم البشرية ومنحها الأولوية في القضايا الاجتماعية والنفسية لارتباطها بالأزمات الدولية، ومن بين الكم الهائل من هذه المفاهيم نجد "مصطلح الأزمة " والذي يُعد من المصطلحات الأكثر استخداماً في عصرنا الحالي الذي يمكن وصفه بعصر الأزمات.

لم يشهد مجتمع انتقالي ولا انقلابي أزمات ومتغيرات كما شهدها هذا البلد، ولعل الأزماتُ تقرأ على أنها صدمات سياسية أو اجتماعية أو مادية، تزول وتنحسر بحكم القرارات أو التعّود أو الغزل السياسي، أو إيجاد ميكنزيمات لاستراتيجيات (تحويل الاهتمام)، فالعنف في العراق لم يهدأ ولم يستكن على وقع الراديكالية السياسية وأزمات الإرهاب وصناعة فوضى الشارع والخطاب الطائفي والمناطقي الذي عصف.

الكلمات المفتاحية :الأزمات الدولية، الانعكاسات النفسية، المجتمع العراقي، الأمن النفسي، سيكولوجيا إدارة الأزمات.

International Crises and Their Psychological Repercussions on Iraqi Society

Dr. Noor Ali Al-Kinani
Al-Iraqia University
College of Education for Women / Media Psychology

Abstract

The end of the Cold War was considered a new era in the history of international relations, this era had characterized by the reconstruct of many concepts that had existed since the oldest of mankind. These new concepts have giving the priority in social and psychological issues due to their connection to international crises. Among the huge amount of these concepts, we find the term of "Crisis", which is one of the most frequently term used terms in our current era, this are can be described as the era of crises. No transitional or revolutionary society has witnessed crises and changes like this country has witnessed, I mean "Iraq". Crises perhaps can be read as a political, social, or material shocks that disappear and recede by virtue of decisions, habituation, or political flirtation, or finding mechanisms for strategies (changing the attention). Violence in Iraq has not subsided, and has not settleddown on the impact of political radicalism, the crises of terrorism, the creation

of street chaos, and the sectarian, and regional discourse that blew up. It is like if Iraq has become daily filled with violence-breaking news.
Keywords: International Crises, Psychological Repercussions, Iraqi Society, Psychological Security, Psychology of Crisis Management.

المقدمة:

تعد الأزمات من الأحداث المهمة والمؤثرة في حياة الشعوب (أفرادا ومنظمات ومجتمع ودولة وحكومة) لأن الأزمة أصبحت جزءا مرتبطا بحياة الناس وتشكل مصدر قلق للقادة والمسؤولين والمواطنين على حد سواء، وذلك لصعوبة السيطرة عليها بسبب التغيرات الحادة والمفاجأة في البيئة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والنفسية والتكنولوجية والقانونية من ناحية، وضعف الإدارات المسؤولة في القدرة على تبني نموذج إداري ملائم لتلك التغيرات من ناحية أخرى.

تُعتبر الأزمة لحظة حرجة وحاسمة تتعلق بمصير الكيان الإداري الذي يصاب بها، ومشكلة تمثل صعوبة حادة أمام متخذ القرار تجعله في حيرة بالغة، فيصبح أي قرار يتخذه داخل دائرة من عدم التأكد، وقصور المعرفة، واختلاط الأسباب بالنتائج والتداعي المتلاحق الذي يزيد درجة المجهول في تطورات ما قد ينجم عن الأزمة.

إن كل أزمة تقريباً تحمل في طياتها مقومات نجاحها وكذلك أسباب فشلها، وإنها نقطة تحول ليس بالضرورة أن تتصف بأنها سيئة، أو أن جميعها شر مسيطر، ولكنها قد تصبح حافزاً على التقدم والتطور والمشاركة بفعالية وعمق، على الرغم مما تحمله من درجات المخاطرة وعدم التأكد، لذا نجد أن بعض المسؤولين يرون في الأزمات فرصاً لتعزيز أدوارهم أفرادا ومؤسسات، فالمشكلة الحقيقة تكمن في كيفية التعامل مع الأزمة و مواجهتها بشكل علمي ومسؤولية إدارية منظمة بحيث يكون التفاعل مع الأزمة تفاعلا إيجابيا يخفف من حدتها بدلا من تفاقم الأزمة و عدم التمكن من السيطرة عليها .

الأزمة مفهوماً

يعد " مصطلح الأزمة " من المصطلحات الأكثر استخداماً في عصرنا الحالي الذي يمكن وصفه بعصر الأزمات ، فأزمات اليوم مست كل جوانب الحياة وأضحت متواجدة على كافة الأصعدة والمستويات، سواءً على المستوى الفردي بمواجهة الفرد لأزمات نفسية[1] واجتماعية في حياته اليومية، أو على المستوى

[1] . لا تشير الأزمة النفسية بالضرورة إلى حدث مأساوي أو خبرة حياتية بغيضة يتعرض لها الإنسان، بل ترتبط الأزمة النفسية من حيث تأثيراتها بأساليب أو استجابات الشخص للأحداث الصادمة أو الخبرات الحياتية المباغتة أو الفاجعة. يستخدم هذا التعبير في مجال الصحة النفسية للإشارة إلى ردود أفعال الإنسان لهذا الموقف أو ذلك الحادث. فقد يتأثر شخص ما بصورة عميقة جدًا بالحدث أو الموقف الصادم لدرجة الغرق التام في مشاعر التألم النفسي وما يقترن به من فقدان الاتزان النفسي، مع الارتباك دون رؤية أي فرص

الوطني بمواجهة الحكومات والمؤسسات لأزمات سياسية واقتصادية، وكذلك على المستوى الدولي ببروز ما يُعرف اليوم بالأزمات الدولية.

كلمة أزمة ليست حديثة العهد، فقد عُرفت الكلمة منذ العهد الإغريقي في القرن الرابع قبل الميلاد، بمعنى نقطة التحول الحرجة في حياة المريض، واستخدمها العرب كذلك بنفس المعنى, في القرن السادس عشر شاع استخدام هذا المصطلح في المعاجم الطبية، وتم اقتباسه في القرن السابع عشر للدلالة على ظهور مشكلات اجتماعية خطيرة أو لحظات تحول فاصلة في تطور العلاقات السياسية والاقتصادية والاجتماعية، وتم استعمال المصطلح بعد ذلك في مختلف فروع العلوم الإنسانية وبات يعني مجموعة الظروف والأحداث المفاجئة التي تنطوي على تهديد واضح للوضع الراهن المستقر في طبيعة الأشياء. (1)

تفيد كلمة الأزمة في اللغة العربية معنى الضيق والشدة، يقال أزَمَت عليهم السنة أي: اشتد قحطها، وتأزَم أي أصابته الأزمة . وكلمة أزمة باللغة الإنجليزية هي **Asthma** وتعني نفس المفهوم الطبي. وعلى الرغم من أن أدبيات بحوث السلام استخدمت كلمة **Crisis** إلا أن المعنى الطبي هو الغالب في التسمية من ناحية المضمون لا من ناحية الاسم، ويعرف معجم ويبستر **Webster** الأزمة بأنها ''نقطة تحول إلى الأفضل أو الأسوأ، وهي لحظة حاسمة، أو وقت عصيب، أي وضع وصل إلى مرحلة حرجة .'' (2)

أما الأزمة دولياً فتعد الصورة الأكثر دراماتيكية[2] والأشد كثافة وتحولا وتكرارا للصراعات التي تجري داخل النظام الدولي والتي تتوقف دون نقطة الحرب. وتوصف الأزمة ، بأنها دولية، بالنظر لما يمكن أن يترتب عليها من آثار تنعكس ليس على أطرافها فحسب، إنما قد يتضرر من جرائها العديد من أعضاء المجتمع الدولي , فتعد نقطة تحول في طبيعة العلاقة بين أطراف ما، حيث ترتفع الصراعات إلى مستوى يُهدد بتغير طبيعة العلاقات بين الدول .

إن الاهتمام العلمي بالأزمات السياسية لا يعود إلى مجرد كونها ظاهرة متكررة في العلاقات الداخلية و الخارجية للبلد بل يعزى هذا الاهتمام أيضا إلى النتائج والتداعيات الهامة والخطيرة التي تؤدي اليها مثل هذه الأزمات سواء على سياسات ومواقف الأطراف المشتركة فيها أو على بيئة النظام الدولي ووحداته الأخرى .ينقسم علماء العلاقات الدولية في هذا الشأن إلى فريقين:

للتغلب عليه أو على الأقل الإدارة الإيجابية لتداعياته، بينما لا يتأثر شخص آخر بهذا المستوى بل يشحذ قوته وطاقاته لمواجهة هذا الموقف وتطويق تأثيراته وإدارته بطرق المواجهة الإيجابية واستراتيجيات التوافق الفعال.

[2] ـ كلمة إغريقية معناها العمل محبكة ومعقدة ومتقلبة. لدراماتيكية "δρᾶμα"نسبة إلى الدراما وهو نوع من النصوص الأدبية التي تؤدى تمثيلا في المسرح أو السينما أو المرناة (التلفزيون) أو الإذاعة.

أولهما: ينظر إلى الأزمة الدولية من خلال منظور تحليل النسق، والتي ترى أن الأزمة الدولية هي نقطة تحول في تطور النظام الدولي العام أو أحد نظمه الفرعية قد تؤثر فيه بالسلب أو الايجاب، وأنه يتزايد معها احتمالات نشوب الحرب واستخدام القوة العسكرية من قبل أطراف الأزمة .

وثانيهما: يتمحور حول تحليلات مدرسة صنع القرار التي ترى أن الأزمة الدولية هي موقف بين دولتين أو أكثر يتسم بخصائص ثلاث هي: (3)

1. موقف يتضمن درجة عالية من التهديد للأهداف والقيم والمصالح للدول بحيث يدرك صناع القرار ذلك التهديد لمصالح دولهم.
2. موقف يدرك فيه صناع القرار أن الوقت المتاح لصنع القرار واتخاذه هو وقت قصير. ويستلزم ذلك سرعة فائقة وإلا فإن موقفا جديدا سوف ينشأ لا يجدي القرار المتأخر في معالجته.
3. موقف مفاجئ، حيث تقع الأحداث الخالقة للأزمة على نحو يفاجئ صانع القرار.

سمات الأزمات الدولية وأبعادها المجتمعية

تتعاظم تداعيات الأزمات الدولية على عديد الانعكاسات الاجتماعية، وعلى الرغم من أن البعض يتصورها حبيسة الأروقة الحكومية أو متخذي القرارات إلا أنها تلقي بظلالها بشكل تدريجي على حراك المجتمعات وعلى طبيعة تواصله وحتى منجزه الحواري والنفسي والابداعي، وترتبط الأزمة نفسيا بالفرد باعتبارها ((موقفاً مفاجئاً يُهدد بتحول جذري في الوضع القائم بسبب المفاجأة وضيق الوقت المتاح لاتخاذ القرار، والتهديد القائم للمصالح الحيوية)). وبهذا المعنى تحدث الأزمة للفرد بما يهدد الأمن النفسي[3] ، كما تحدث للدول والمجتمعات والمجموعات ومن ثم الفرد باعتباره كائنا يتلقى ويستشعر التهديدات ومناطق القلق الفردي والجمعي .

وتتسم الأزمة بعدة سمات، من أهمها: (5)

1. نقطة تحول جوهري في تطور الأحداث الجارية.
2. موقف يتطلب عملاً عاجلاً، يستدعي التدخل الفوري لمنع تدهور الأمور.
3. موقف يهدد أولويات النظام القائم، أو يهدد النظام في وجوده, إذ تهدد المصالح العليا والأمن القومي للدولة.

[3] ـ الأمن النفسي هو حالة يشعر فيها الفرد بالسلامة والأمن وعدم التخوف، ويكون فيها إشباع الحاجات وإرضاؤها مكفولان، وهو اتجاه مركب من تملك النفس بالثقة بالذات والتيقن من أن المرء ينتمي إلى جماعات إنسانية لها قيمة.

4. من المتوقع أن تقود إلى نتائج مهمة ذات آثار محورية على أطرافها تفرز مجموعة نتائج جديدة تماماً.
5. قلة المعلومات الصحيحة المتاحة (وبالذات في الدول المتخلفة حيث لا توجد برامج محاكاة الأزمات : منع الأزمة والتحذير من وقوعها وإدارة الأزمات)، أو برامج الإنذار المبكر للأزمات.(6)

يتضح مما تقدم، أن الأزمة تؤثر على الموقف الناجم عن تغيير في البيئة الخارجية، أو الداخلية لوحدة القرار السياسي، وتتشكل ملامح هذا الموقف لحظة حدوثه في مدركات صناع القرار، تلك السمات والخصائص تميل إلى في الأغلب إلى أن التأثيرات في الأغلب تتجه باتجاه الفرد – باعتباره كائنا أو صانعا للأزمة ضمن منطق السبب والنتيجة –كالتصريحات – القرارات الفردية – الأعمال الجسدية – الإرهاب – الحركات التي تنم عن نفور أو عدم رضا على مستوى العلاقات الدولية .... غيرها كثير .ولو تفحصنا مضمون الفقرات المرتبطة بالسمات لوجدنا محورها الأساس يتمحور في البعد النفسي الانفعالي)عمل عاجل – تهديد–قلة المعلومات(وعنها ومنها ينتج التوتر والإرباك في التفاوض أو ترميم عناصر الأزمة بجانب يميل إلى الاضطراب والانفعال من أطراف الأزمة ذاتها أو من يلوحون بوسطها من الجماهير أو الأفراد.(7)

أسباب نشوء الأزمات :

تتنوع أسباب نشوء الأزمات لاختلاف أنواعها ومجالاتها وأصنافها، فمنها من هو خارج عن قدرات الإنسان ويرجع إلى أسباب خارجية، وفيها ما يتعلق بالبيئة الداخلية التي تكون وفق إرادة الإنسان ونتيجة لتداخلاته، ومنها ما يتعلق بمجالات مختلفة أسباب فردية، اجتماعية ومن هذه الأسباب :

1. .سوء الفهم : يمثل سوء الفهم أحد أهم أسباب نشوء الأزمات ، وينشأ عادة سوء الفهم من خلال جانبين:

   أ- نقص المعلومات.

   ب- التسرع في إصدار القرارات أو الحكم على الأمور قبل تبين حقيقتها.

2. **سوء الإدراك** : يمثل الإدراك مرحلة استيعاب المعلومات التي تم الحصول عليها والحكم التقديري على الأمور المعروضة، فإذا كان الإدراك غير سليم أو نجم عن تداخل في الرؤية والتشويش سواء المتعمد أو الطبيعي فإنه يؤدي إلى عدم سلامة الاتجاه الذي اتخذه القائد الإداري.

.3سوء التقدير والتقييم : وهي أكثر أسباب حدوث الأزمات ، من خلال المغالاة والإفراط في الثقة بالنفس على مواجهة الطرف الآخر وسوء تقدير قوة الطرف الآخر والاستخفاف به واستصغاره والتقليل من شأنه.(8)

4. **الإدارة العشوائية** : وهذا النوع من الإدارة يعمل ليس كسبب وباعث للأزمات فقط بل كمدمر للكيان الإداري ومحطم لإمكانياته وقدراته ولاستعداده لمواجهة أي أزمة مهما كان حجمها صغيراً أو يمكن التغلب عليها، فالإدارة العشوائية تقوم على الجهل وتشجيع الانحراف والتسبب والاعتماد على التوجهات الشخصية للرؤساء وتقوم على أساليب الفعل واتخاذ القرار الذي عليه الموقف، القرارات فيها معدومة التأثير حيث يتراجع متخذوها عنها ويعمدون إلى تغييرها كل لحظة والتنصل من مسؤوليتها. ولعل هذا يفسر لنا أسباب أزمات الكيانات الإدارية في دول العالم الثالث التي تفتقد إلى الرؤية المستقبلية العلمية والتي لا تستخدم التخطيط العلمي الرشيد في إدارة شؤونها.

5. **اليأس** : يعد اليأس في حد ذاته إحدى الأزمات النفسية والسلوكية والتي تشكل خطراً داهماً على متخذ القرار السياسي، لذلك يُنظر إلى اليأس على أنه أحد بواعث الأزمات الدولية وأسبابها ذات ا لطبيعة الخاصة، والأزمة التي يسببها هذا الباعث هي أزمة إحباط حيث يفقد متخذ القرار الرغبة والدافع على العمل والتطوير والتنمية، وتتفاقم الأزمة لتصبح حالة اغتراب " بين الفرد والكيان و المجتمع الذي ينتمي إليه .(9)

التأثير السيكولوجي للأزمات الدولية :

تعد الأزمات أمرا غير محبب للنفس و ذلك لأنها تشعرك بعدم الاستقرار و التغيير المفاجئ مما يشعر بالارتباك و القلق وربما اتخاذ القرارات الارتجالية و المتسرعة التي تزيد الأمر سوأً , تنشأ من التأثيرات السيكولوجية الناجمة عن الأزمات السياسية والدولية و ما تخلفه من عنف وإرهاب دولي ويقترح تكوين مجموعات خاصة عالية الكفاءة للتدخل السريع ، وتصمم هذه المجموعات للتخفيف من حدة وآثار ونتائج الأزمات ، ويمكن أن تستمر عدة أيام لا سيما عند الحاجة إلى المتابعة ، وذلك باعتماد أنموذج يتكون من أربع مراحل وكما يأتي .

أ- **المرحلة الأولى** : تجميع الضحايا الذين تعرضوا إلى أزمة مشتركة من أجل إعادة تأسيس الشعور بالجماعة ، كضرورة أساسية في إعادة البناء واستعادة النشاط .

ب- **المرحلة الثانية**: استخدام المصادر الأكثر ملاءمة ومصداقية وذات سلطة، لتوضيح الحقائق المتعلقة بالأزمة ، وبدون اختراق للسرية ، وأن يستلم الضحايا المعلومات الواقعية عن الأزمة للتغلب على الشائعات الهدامة والقلق المتوقع ، وإعادة الشعور بالسيطرة لدى الضحايا. ويساعد

اختيار المتحدث المحترم العالي المصداقية في تعزيز فاعلية الرسالة المدركة ، وفي زيادة الاطمئنان للإجراءات المتخذة والدعم المقدم .

ج- **المرحلة الثالثة** : توفير أخصائيين ذوي مصداقية في العناية الصحية ، لمناقشة معظم ردود الأفعال العامة، ومنها الإشارات المشتركة والعلامات العارضة للأسى والغضب .

د- **المرحلة الرابعة** : مناقشة استراتيجيات العناية بالذات- Self-Care - والتعامل الشخصي ، والتي تكون ذات قيمة كبيرة في تخفيف حدة ردود الأفعال للأزمة كذلك مناقشة(استراتيجيات ادارة الإجهاد)[4] -**Stress** Management- على أن تكون عملية بسيطة ، تقديم الموارد اللازمة من المجتمع والمنظمة لتسهيل عملية استعادة النشاط .(10)

الانفرادية في اتخاذ القرار في الأزمة الدولية:Unilateralism

اعتبرت الولايات المتحدة وحلفاؤها لأول مرة منذ حرب الخليج الثانية أن الشرعية الدولية لم تعد تسعفها في إدارة الأزمة العراقية، وهو ما مثّل نقلة نوعية في العلاقات الدولية وفي التنظيم الدولي عموماً، وكانت دراسات كثيرة عن الأزمة الدولية قد تنبأت بمثل هذه الانفرادية في اتخاذ القرار الدولي، لتنفيذ السلام الأمريكي على العالم من خلال وسائل الاستعمار القديم كروما وبريطانيا، وذلك من خلال السير في عدد من الاتجاهات بهدف السيطرة على العالم في فترة ما بعد الحرب الباردة، وخصوصاً بعد هجمات 11 سبتمبر 2001. وتعرضت تلك الأفكار لانتقادات من جانب معارضي هذا التوجه من خلال تصويره بأنه يسعى إلى تكريس الانفرادية والتوجه العسكري والرئاسة الاستعمارية، في ظل الافتقاد إلى رؤية موضوعية للأمور.(11)

1. . استمرار أحادية القطبية (**Polarity**)المعنى المقصود بالقطبية **Polarity** هو تأثير الدولة المسيطرة على النظام الكوني على الأزمة الدولية، أي العلاقات الارتباطية القائمة بين عدد القوى الكبرى والعظمى في مركز صنع القرار في النظام الدولي عند انفجار الأزمة وإدارتها.

[4] ـ "الحالة أو الشعور اللذان يصيبان الفرد عندما يدرك أن المتطلبات التي يواجهها في حياته، تزيد على قدراته التي يواجه بها هذه المتطلبات". هذه القدرات قد تكون وقتاً أو مصادر أو معرفة أو قرارا أو حكما معينا أو مهارات لإتقان عمل معين، وباختصار، فإن الإجهاد هو شعور الإنسان بفقدانه التحكم فيما يحدث حوله من أحداث..

2. التحويل **Transformation** :يعني التحويل تأجيل أو نقل وضع الأزمة إلى منطقة أخرى أو مجال آخر أو زمان آخر. وُيقصد به أنه لعجز بعض الدول عن إنهاء أو حل مشاكلها المحلية تتجه لتحويل صراعاتها لأزمات خارجية قد تتسبب في أزمة دولية . إن الانكفاء للخارج لتغطية مشاكل الداخل هو مبدأ معروف في علم السياسة منذ فترة طويلة، ولكن الجديد هو استخدامه خلال العقد الماضي بطريقة مكثفة. وهناك أزمات لا يشعر بها الطرف الآخر المقصود، خصوصاً إذا كانت دولة عظمى، فقد لا يهم مصالحها في شيء أن تتصاعد هذه الأزمة ، وربما تستخدمها لأغراض أخرى تحولت إليها على الساحة المحلية أو الدولية، وهو ما يُطلق عليها أحياناً ''الأزمة ذات الجانب الواحد **One- Sided Crisis** ''ولاشك أن تحول الأنظار عن الفشل في ''الحرب على الإرهاب''، كما حدث في أفغانستان ونقل الأنظار إلى الحرب على العراق قد يقدم نموذجاً يمثل هذا التحول في السلوك المتعلق بالأزمة .(12)

تختلف إدارة الأزمة الدولية حسب عدة أبعاد، من بينها نظام القطبية السائد، والموقع الجغرافي ونوع النظام السياسي ونوع الصراع (ممتد أو غير ممتد)، ولكن أهم هذه الأبعاد على الإطلاق هو حدة العنف المستخدم وكثافته عند تصعيد الأزمة إلى حرب. وما تجدر الإشارة إليه، أن العلاقات الدولية المعاصرة تعيش أزمات متلاحقة على نحو جعل منها ظاهرة متكررة تفرض نفسها على كل من صناع السياسات الخارجية ومراقبي ومحللي العلاقات الدولية. فالاهتمام العلمي بالأزمة الدولية لا يعود إلى مجرد كونها ظاهرة متكررة في العلاقات الدولية المعاصرة فحسب، بل يعُزى هذا الاهتمام أيضا إلى النتائج والتداعيات الهامة والخطيرة التي تؤدي إليها مثل هذه الأزمة سواء على سياسات ومواقف الأطراف المشتركة فيها أو على بيئة النظام الدولي ووحداته الأخرى.

سيكولوجيا إدارة الأزمة السياسية:

إن إدراك الفرد لحدث ما أو موقف معين بأنه صعب الاحتمال **Intolerable difficulty**ويتجاوز أو يفوق ميكانيزمات المواجهة أو التوافق لدى الشخص و يستنفذ في نفس الوقت كل مصادر وأساليب المواجهة . و إذ لم يتم مساندة الشخص للتخلص أو التخفيف من الأزمة وإعادته إلى سابق حالته الانفعالية قبل الأزمة يمكن أن تسبب الأزمة خللاً أو عجز اً وظيفياً انفعالياً ، أو معرفياً سلوكياً " إدراك الحدث أو الموقف " أكثر من التأكيد على الحدث أو الموقف ذاته ، مما يجذب الانتباه إلى المعنى الكامل أو المتضمن في الحدث من وجهة نظر الشخص الذي يمر بالحدث أو يوجد في الموقف الصادم أو الضاغط ،

إذ قد يتواجد الكثير من الناس أو يمرون بنفس الحدث أو الموقف و يستجيبون بصور مختلفة تماماً وذلك لأن استجاباتهم تعتمد بشكل أساسي على تصوراتهم و إدراكاتهم المختلفة لمعنى ودلالة الحدث أو الموقف بناءً على خصوصية البيئة النفسية والمزاجية و المعرفة السياسية لكل شخص ، حيث يجب أن لا يتم التعامل مع الأحداث الصادمة events Traumatic من حيث القيمة أو الصيغة الشكلية لها بل مع ترجمتها إلى الدلالات النوعية الخاصة بالنسبة لإدراكات كل شخص لها على حدة. (13)

طبيعة الأزمات بالعراق ومراحلها السيكولوجية :

يعاني العراق نصيبا أكبر من الأزمات سواء كانت أزمات خارجية أم داخلية، فالعراق كسائر البلدان النامية مكان لتصريف الأزمات ، إن طبيعة الأزمة بالعراق هي سياسية بامتياز وما يشهده العراق اليوم من مشاكل أو أزمات اقتصادية، أمنية، دستورية، فساد سياسي، تشكيل حكومة، صنع قرار وغيرها، ما هي إلا أعراض أو تداعيات للأزمة السياسية، وهي أزمة تكمن ببنية نظام الدولة السياسي، ومن ثم فهي أزمة اختلال بنيوي، أزمة تراكمية قوامها (المحاصصة والتوافقية).

1. إن أسباب الأزمات في البلد لا تعُزى لتكالب القوى والكتل السياسية في تأثيرها السياسي فقط، وإن كان ذلك العامل هو المؤثر والمحرك لكل الأزمات المتتالية، بل إن العوامل الاقتصادية والاجتماعية والنفسية لها من التأثيرات المباشرة في خلق الأزمات الواحدة تلو الأخرى، فالبطالة المقنعة وانعدام فرص العمل وتزايد أعداد الخريجين وحملة الشهادات العليا كلها عوامل مؤثرة في تزايد الأزمات .
2. الجوانب المجتمعية الأخرى المتمثلة في تزايد أعداد السكان مع عدم توافر متطلبات السكن الجيد والمناسب للعوائل وانخفاض القدرة الشرائية لهم أدت بالنتيجة إلى تضخم الأزمات مع عزم إيجاد الحلول المناسبة للتعامل مع تلك المشاكل، وبالتالي عدم وجود استراتيجيات معتمدة من قبل الحكومات المتعاقبة من أجل الحل الشامل للأزمات التي تعاني منها الدولة.
3. تعد أزمات العراق مركبة، أي أن عوامل الأزمة (عناصرها) متعددة، وبالتالي تكون تداعياتها متعددة أيضا وتتوزع على مجالات عوامل وعناصر الأزمة . فإذا ما تأملنا في أزمات البلاد بعد عام 2003 نجد أن هناك عاملا قائدا للأزمة ويحرك عناصرها وهو العامل السياسي وهو من يحرك عوامل الأزمات الأخرى وأهمها الأمن الاجتماعي

والاقتصادي. عليه يمكن القول إن السلطة والأحزاب والقوى السياسية المشتركة في إدارتها هي أساس المشكلة كونها بدون هدف ولا تنظر سوى الأمام بأطر ضيقة على كافة المستويات وبما يخدم مصالحها الحزبية والشخصية. كذلك تنوع العوامل الإقليمية والدولية السياسية والاقتصادية والأمنية وتأثيرها على تعقيد الأزمات في العراق.

أما المراحل السيكولوجية في العراق فيمكن النظر إلى تاريخ هذا البلد المعبأ بالأزمات ،وخاصة في الجانب السياسي وعلاقته بنمط وطبيعة الحكام وشكل النظام السياسي والاجتماعي ، فمنذ الأربعينيات مر المجتمع العراقي بأزمات سياسية بعضها (مفاجئ) والأخر كأزمات مركبة امتدت حتى يومنا هذا ، فالمتغيرات في العهد الملكي ثم الجمهوري ثم حروب الثمانينيات ثم طبيعة وشكل أزمات النظام السابق مرورا بالإرهاب وداعش أزمات غاية العمق والتواصل والصدام الدائم في معترك الذاكرة العراقية وبالطبع – بعدها النفسي – والسيكولوجي – مما أنتج لنا فردا يتصف بمواصفات (فرد الأزمة) أو وليد الأزمة ، من صفاته بشكل عام في الجانب النفسي الآتي:

1- متمرد
2- متقلب المزاج – حاد
3- لا يمتثل في الأغلب للأنظمة بحكم عدم ثقته بصناع الأزمات من الطبقة السياسية
4- يتماهى ويتصاعد شعوره في الأزمات الدولية – نتيجة ارتباطات العراق في محاور متعددة – بحسب الصورة النمطية –
5- لاتحل الأزمات إلا بضغط الوقت أو التظاهر الجماهيري وتصاعد الضغط الإعلامي
6- يتحسس القوانين والأنظمة التي تخرج من البرلمان بأبعاد عاطفية وذاتية – نتيجة لدوران الأزمات المركبة –

وبشكل عام تمر مراحل التأثير للأزمة على الأفراد عبر المراحل الآتية كضغوط تحسبيه انفعالية وكما يلي :

1. التهديد Threat : وتمثل المرحلة الأولى من مراحل الأزمة السياسية ، هي مرحلة الإنذار المبكر لما قد يحدث مستقبلاً من مشكلات داخل الدولة إذا لم يتم التصدي لها تتحول إلى ضغوط ضارة وتقود إلى حدوث أزمة سياسية بالفعل. (أي أن التهديد شرط لازم لحدوث الأزمة ولكنه غير كافٍ)

2. المشكلة:Problem وتمثل مرحلة من مراحل الأزمة السياسية، ولكنها لا تمثل الأزمة بجميع جوانبها .وهي في الغالب المرحلة الممهدة للأزمة أو ما يسمى (بمرحلة ما قبل الأزمة) إذ تزداد المشكلات حدة وشدة بحيث يفشل معها أساليب الفرد التكيفية، و التهدئة وتصبح كافة أساليبه المعتادة غير قادرة على مواجهة الموقف المشكل بتداعياته المحتملة والمفاجئة وغير المتوقعة , وبالتالي يمكن أن تعمل بمثابة تمهيد للأزمة السياسية المتوقعة إذا اتخذت مساراً حاداً ، فالمشكلة تحتاج في التعامل معها إلى التفكير والجهد المنظم الاعتيادي ، لكن الأزمة السياسية تحتاج إلى التفكير والجهد المنظم تحت ضغط الوقت نظراً لأن دورة الأزمة السياسية سريعة ومتلاحقة.(14)

3. الضغط stress : يمثل الضغط الحمل الذي يقع على كاهل الفرد وما يتبعه من استجابات من جانبه ليتكيف أو يتوافق مع التغير الذي يواجهه ، كما يمثل الضغط نوعاً من الانزعاج أو الألم أو الشعور بالاضطراب ، ينتج من الحاجة إلى التحرر من التوتر أو السعي إلى التخلص من الانزعاج أو الضيق أو الألم ، والضغط قد يكون قصير المدى يرافق ظهوره نتائج متوقعة إلى حد كبير ، وقد يؤدي إلى حدوث أزمة وعلى الرغم من أن الضغط ليس بأزمة في حد ذاته ، إلا أن الاحداث السياسية التي يمر بها البلد تكون ضغطا نفسيا على الفرد . في حالة وصول القلق المصاحب للضغط إلى درجة تتجاوز أو تفوق قدرة الفرد على التوافق أو المواجهة ، مما قد يؤدي إلى حالة من الشلل**Paralyzes** أو التأثير السلبي الخطير على الأداء السلوكي الوظيفي العام للفرد الذي يشعر أن البلد يمر بأزمات سياسية متتابعة.(15)

مخطط يوضح تأثير الأزمات السياسية على المجتمع و لفرد.

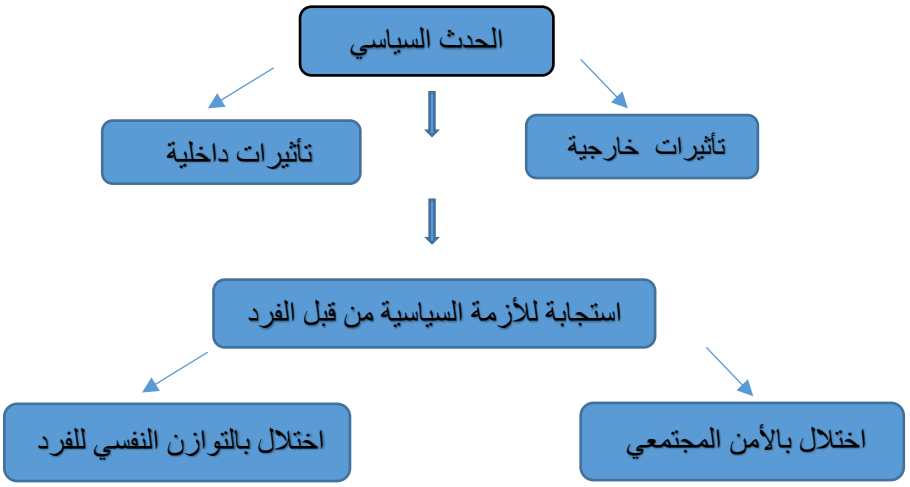

4. النكبة (المأساة) **Catastrophe** : هي أحداث مفاجئة تسبب دماراً ومعاناة كبيرة ، ينتج عنها فقدان كامل للثقة بالحكومة ، وللشعو ر بعدم (الطمأنينة الانفعالية[5]) ، كما تمثل فشلا في الوصول إلى شروط مع الأمن و الأمان النفسي لدرجة تسفر عن الانهيار والإحساس بمشاعر عدم الكفاية.(وهذا المفهوم على الرغم من كونه يركز على الحدث ونتائجه ، ولا يتضمن الفرصة التي يمكن اغتنامها أثناء الأزمة ، إلا أنه يعبر عن تلك اللحظات التي تنفجر فيها الأزمة السياسية و تأثيراتها النفسية على الفرد.

5. الشائعات : تنتشر الشائعات أكثر في أوقات الأزمات أو الظروف الضاغطة أو المثيرة للقلق ، ولقد وضع "ألبورت وبوستمان **Postman** & **Allport** " معادلة لانتشار الشائعات تقول إن انتشار الشائعات يعادل مدى أهمية موضوعها مضروباً في مدى الغموض المحيط به , يتم إطلاق الإشاعة من قبل أصحاب منحى التوجه نحو الإدارة بالأزمات عن طريق حقائق صادقة حدثت بالفعل وملموسة من عدد كبير إلى من يستمع لها مع إحاطتها بهالة من البيانات والمعلومات الكاذبة والمضللة ، ويكون إعلانها في توقيت معين وفي مناخ وبيئة محيطة

[5] . الطمأنينة الانفعالية : مقدار ما يحتاج الفرد من الحماية النفسية ووقايتها من الظروف التي تشكل خطراً عليه، مثل تقلبات السياسية والأوبئة والأمراض والحروب وعدم الاستقرار السياسي والاقتصادي والاجتماعي والتقليل من القلق المرتفع المصاحب للمستقبل المجهول "

تم إعدادها بشكل معين ومن خلال استغلال حدث أو أحداث معينة لتنفجر الأزمة بدون إنذار .(16)

وعلى الرغم من الأزمات المتتالية التي طغت على أحداث العراق منذ 2003 ولحد الآن، فإن البلد قادر على أن يفيق من سباتهِ وينهض من غفوته إذا اتخذ غالبية صنّاع القرار فيه إجراءات سريعة وقدموا مبادرات تستند إلى رؤية ومصلحة وطنية وابتعدوا عن الصراعات السياسية الهدّامة وتنزهوا من أدوات تسقيط المنافسين.

فالخلاص من الأزمات لن يتمّ بين ليلةٍ وضحاها فهو يتطلب إرادة سياسية مخلصة وقرارات علمية وشجاعة من قيادة وطنية تعمل لأجل العراق وشعبه فقط، لذا من الواجب على من يتصدر إدارة الدولة أن يتمسك بالعمل المؤسسي ولا ينحاز للتفرد في اتخاذ القرارات، ولا ننسى الدور المهم للشعب في تقويم مسار عمل الحكومة من خلال المشاركة السياسية الفاعلة والواعية من أجل المساهمة في رسم مستقبل العراق، فالشعب كلما كان أكثر وعياً وأعلى ثقافة فإنه لن يسمح للانتهازيين بحكمه واللعب بمصيره.

المساندة النفسية و الاجتماعية عند و قوع الأزمات الدولية :

وعلى الرغم من أن كل أزمة يتم التعايش معها على المستوى الفردي و الاجتماعي ، إذ إن لكل شخص أسلوبه الإدراكي والتوافقي المميز إلا أن معرفة الفرد بأن الآخرين يتفاعلون بنفس الكيفية مع الأزمة يقلل من التأثير الذي يقع عليه كونه ضحية لأزمات أو كوارث. على سبيل المثال يستفيد أبناء البلد الذين تعرضوا إلى أزمات دولية من تجارب البلدان التي تعرضت إلى نفس الأزمة .

يُشير "ويب" (Webb1999) إلى أن الإحساس بالسند يمثل قيمة عظمى في حياة الإنسان خصوصاً في مواقف الأزمات الكبرى التي تقع على البلدان ، فإذ كانت المأساة تحب الصحبة company loves miseryفإنه يُتوقع إذن أن تؤدي المشاركة في خبرات الأزمة إلى درجة من الراحة والدعم الذي يغيب بطبيعة الحال عندما يمر البلد بالأزمة الضاغطة بمفرده خاصة دون الدعم الدولي ، و أيضاً الاعتبارات المرتبطة بالمسؤولية .(17)

مع ذلك لا يؤدي شيوع الحدث الصادم ومشاركة الآخرين فيه بشكل آلي إلى تقوية الارتباط بين هؤلاء المشاركين فقد كشفت دراسة "تير" (Terr 2010) التي تناولت الأحداث التي وقعت على العراق بعد عام 2003 و تأثيراتها على المراهقين

أن هؤلاء يميلون إلى تجنب التواصل فيما بينهم كما لو كانوا يتجنبون أية ذكريات مرتبطة بالحرب أو القتل أو التهجير إذ يحاول هؤلاء الاندماج في المجتمع والبقاء بعيداً عن زملائهم الذين يذكرونهم بهذه الخبرة المرعبة . ومن المتفق عليه أن تجنب الذكريات المرتبطة بالحدث الصادم واحد من الخصائص الأساسية للاضطرابات التالية (**للصدمةPTSD**) .

و تأخذ المساندة النفسية و الاجتماعية عدة أشكال منها : (18)

- المساندة الانفعالية support Emotional :عن طريق تقديم أشكال الدعم الانفعالي من رعاية و بث وبناء الثقة في الذات .
- المساندة بالمعلومات support Informational : عن طريق إسداء وتقديم النصائح والمعلومات الإرشادية بما يقود إلى حل مشكلة أو موقف ضاغط
- المساندة بالوسيلية support Instrumental عن طريق المساعدة في العمل والمساعدة بالمال أو عن طريق إتاحة بعض الوقت للفرد المتلقي للخدمة أو العون لأنشطة مثل الاسترخاء أو الراحة.
- مهارات الاتصال Skills Communication : اذي قوم الاتصال غير الجيد بتشويه القدرة على تجهيز المعلومات لصعوبة فهم المقصود من الاتصال .
- مهارات إعادة الطمأنينة Skills Reassuring وقد تأخذ الشكل الشفهي لإعادة طمأنة المنكوبين بهدف بناء الثقة وتقليل تأثير الضغوط، وهناك إرشادات عامة بخصوص هذه المهارات منها ضرورة الاعتماد على الخاصية الإيجابية للمساعدة بإعادة الطمأنينة ، إن استخدام فنية إعادة الطمأنينة كعامل معزز لتشجيع استمرار السلوك. (20)

الاستنتاجات والتوصيات:

ا- الاستنتاجات

1. تعد الأزمة مربكة، فهي تهدد الافتراضات الرئيسية التي يقوم عليها النظام، وتخلق حالة من حالات القلق والتوتر، وعدم اليقين في البدائل المتاحة، خاصة في ظل نقص المعلومات الأمر الذي يضاعف من صعوبة اتخاذ القرار، ويجعل من أي قرار ينطوي على قدر من المخاطرة.

2. المفاجأة، فهي غير متوقعة، حدث سريع وغامض قد يؤدي إلى خسائر مادية أو بشرية هائلة تهدد الاستقرار وتصل أحيانا إلى الأمن المجتمعي والنفسي للفرد.
3. ضيق الوقت المتاح لمواجهة الأزمة ، فالأحداث تقع وتتصاعد بشكل متسارع وربما حاد، الأمر الذي يفقد أطراف الأزمة ، أحيانا القدرة على السيطرة في الموقف واستيعابه جيدا، حيث لا بد من تركيز الجهود لاتخاذ قرارات حاسمة وسريعة في وقت يتسم بالضيق والضغط.
4. تعدد الأطراف والقوى المؤثرة في حدوث الأزمة المركبة وتطورها، وتعارض مصالحها، مما يخلق صعوبات جمة في السيطرة على الموقف وإدارته، وبعض هذه الصعوبات إدارية أو مادية أو بشرية أو سياسية أو بيئية.
5. زعزعة استقرار بعض الأوضاع بهدف إحداث شيء من التغيير في ذلك النشاط لصالح مدبره، وتمكن براعة القيادة في تصور إمكانية تحويل الأزمات وما تحمله من مخاطر إلى فرصة لإطلاق القدرات الإبداعية التي تستثمر الأزمة كفرصة لإعادة صياغة الظروف وإيجاد الحلول السديدة.

ب :التوصيات

1. إصدار مجلة دورية تتضمن مختلف المعلومات والاتجاهات العلمية الجديدة ذات الصلة بفرق إدارة الأزمات وتداعياتها السيكولوجية، وتدريب فرق خاصة على إدارة الأزمات بما يحقق الانتشار واتساع نطاق المعرفة العلمية في هذا المجال.
2. إيجاد آلية تشكيل هيأة وطنية لإدارة الأزمات بكل أشكالها وتتألف من متخصصين من علم النفس والعلوم السياسية والإعلام والتخصصات المقاربة.
3. العمل على وضع استراتيجية واضحة للحكومة المقبلة لمعالجة الأزمات المستدامة وخلال مدة مستقبلية لا تتجاوز 10 سنوات.
4. إجراء البحوث التجريبية والقياس النفسي والاجتماعي حول مدخلات ومخرجات التأثيرات المختلفة للأزمات السياسية وتأثيراتها على الفرد العراقي.
5. اجراء مؤتمر عربي حول تأثيرات الأزمات الدولية وتأثيراتها على الصعيد الداخلي والخارجي وكيف مواجهة الأزمات المتوقعة الحدوث.

المصادر

1. إبراهيم ,أسماء عبد المنعم. (٢٠٠١) المساندة الاجتماعية التقليدية و غير التقليدية في حالات الثكل (دراسة ميدانية) ، المؤتمر السنوي الثامن لمركز الإرشاد النفسي – جامعة عين شمس بعنوان الأسرة في القرن الحادي والعشرين (تحديات الواقع وآفاق المستقبل) في الفترة من ٤ .٦٩-١٣ ، نوفمبر .

2. البحيري ، ولاء "**إدارة الأزمة** "، 2008,بحث منشور في المركز الدولي للدراسات المستقبلية والاستراتيجية، مفاهيم، العدد 38 , مصر , القاهرة .

3. عبد الرحمن، توفيق(2011) إدارة الأزمات : التخطيط لما قد يحدث، القاهرة، مركز الخبرات المهنية للإدارة، (بميك).

4. الفضلي، شهاب أحمد (2009) **العلاقات العراقية ـ الأميركية**... من علاقات تفضيلية إلى القطع .

5. هلال ، محمد عبد الغني (1996) **مهارات إدارة الأزمات : الأزمة بين الوقاية منها والسيطرة عليها** . القاهرة مركز تطوير الأداء والتنمية .

6. CalSWEC .(2001): Crisis intervention , California Social Work Education Center , From http:// calswec.Berkeley.edu .

7. Mitroff, & Persone, C.: Programs frame work and services, center for Crisis management, 1991, P.13-15.

8. منصور , طلعت (١٩٩٥) (دراسة الآثار النفسة والاجتماعية للغزو العراقي لدولة الكويت، الكويت ، سلسلة عالم المعرفة، العدد ١٩٥ : عدد .٦٢٠-٥٦٩.

9. عثمان, فاروق السيد . (١٩٩٨) سيكولوجية التفاوض و إدارة الأزمات ، الإسكندرية ، منشأة المعارف.

10. Vilma Luoma - Aho and Piet Verhoeven, " Crisis responds strategies in Finland Spain". Journal of Contingencies and Crisis Management, Vol 25, N.4, 2017, P: 223

11. Elaine,W ; Randell,B.P. ;Eggert,L,L.(1997) : The Measure of Adolescent Potential for Suicide (MAPS): A Tool for Assessment and Crisis Intervention. Reaching Today's

Youth: The Community Circle of Caring Journal ; 2,(1),22-29 .

12. Richard, Buck, clutter (1993) . international crisis and conflict, new York: martin's press.

13. Robert, Collier (1988). San Francisco Chronicle , Iraq, Global Security Firms, Fill in as Private, Corp Watch website, March 28th.

14. عليوه, السيد (2004) إدارة الأزمات و الكوارث مخاطر العولمة و الإرهاب الدولي . سلسلة دليل صنع القرار العدد 2 القاهرة: دار الأمين للنشر و التوزيع.

15. بكر، حسن , (2007) إدارة الأزمات الدولية بين النظرية والتطبيق (أسيوط: جامعة أسيوط، كلية التجارة، . عثمان ، فاروق السيد (2004) التفاوض وإدارة الأزمات . القاهرة : دار الأمين للنشر والتوزيع.

16. جولمان , دانيل (٢٠٠٠)الذكاء العاطفي ، ترجمة ليلى الجبالي ، ومراجعة محمد يونس. الكويت : عالم المعرفة ، عدد ٢٦٢ . المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب.

17. كوكس ،داني ، وهوفر ، جون (2000). " القيادة في الأزمات " . ترجمة هاني خلجة وريم . سلطاوي . بيت الأفكار الدولية ، الولايات المتحدة الأمريكية

18. Aguilera, D. C. (2012) : Crisis intervention: Theory and methodology (8th ed.). St. Louis : Mosby-Year Book , Inc.

19. American psychiatric Association. (1994): Diagnostic and statistical manual of mental disorders . (4th ed.). Washington,DC:Author.

20. Shaded, Anthony (2006). Night Draws Near : Iraq's People in the Shadow of America's War. New yourk, Henry Holt and company